ظهور الإسلام

فى عام " ٥٢٥م " "٩٧" ق .هـ يعنى قبل الهجرة النبوية المباركة احتل الأحباش " اليمن " وبعد خمسين عاماً سَارَ " أبرهة الأشرم " وَالِى " " اليمن " من قبل ملك الحبشة بجيش عَرمْرم على " مكة المكرمة " وحاصرها عام ٥٧٠م ولكن حملته هذه باءت بالفشل ، وآب يجر أذيال الخزى والعار ، والخيبة والشنار ، ولم يكن أهل مكة رأوا من قبل " الفيلة " فى الجيوش ، بل كانوا يرون " الخيل " يمتطى صهواتها " الفرسان " فسموا العام بعام الفيل . وفى ذلك العام ولد سيدنا "محمد"ﷺ فى مكة ونشأ فيها يتيماً ، فقد توفى أبوه قبل أن يُولد ، ثم توفيت أمه وهو فى السادسة من عمره حين كانت تزيره أخواله من بنى النجار وكانت وفاتها فى مكان يسمى " الأبواء " وفى الخامسة والعشرين من عمره تزوج سيدنا "محمد"ﷺ بالسيدة الفضلى " خديجة بنت خويلد " وكانت من أهل الغنى واليسار ، ومن التجار المشهورين بمكة وغيرها من البلدان المجاورة ، ولما بلغ الأربعين من عمره اختاره الله لأداء رسالته ، ثم بعثه رسولاً إلى الناس أجمعين ويأتى الأمر بعد ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام بأن يصدع بالدعوة . فيقول الله تعالى:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [سورة الحِجر:٩٤]

ودعا الناس فى مكة إلى توحيد الله ثلاث عشرة سنة ، ومع ذلك لم يزد المعتنقون للإسلام فيها أكثر من " سبعين مسلماً " عاشوا جميعاً فى اضطهاد وتنكيل ، وتعذيب ، وذل ، وهوان من الكافرين مثل "بلال بن أبى رباح الحبشى وصهيب الرومى " وعمار بن ياسر ، وأبوه ، وأمه التى رماها أبو جهل بحربة أصابت فرجها ، وأردتها قتيلة ، ثم كانت الهجرة إلى الحبشة ، ثم أمرهم النبى ﷺ بالهجرة إلى المدينة فهاجروا إليها والنبى ﷺ وكان ذلك عام " ٦٢٢م " فتلقاه أهل المدينة بالحبّ ، والترحاب ، وخرج النسوة يزغردن ، ويضربن بالدفوف وينشدن .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

أيهـــــا المبعـــــوث فينـــــا جئـــــت بـــــالأمر المطـــــاع
جئـــــت شـــــرفت المدينـــــة مرحبـــــاً يـــــا خيـــــر داع

ثم دخل أهل المدينة فى الإسلام ، وبدلا من تسميتها " يثرب " سموها "مدينة الرسول" وتعد الهجرة مبدأ التاريخ الإسلامى والذى يسمى بالتاريخ الهجرى.

وبعد ذلك أصبح الإسلام دولةً ، وصار المسلمون أُمةً وقد حاول المشركون بالاتفاق مع اليهود فى المدينة محاربة الإسلام والمسلمين ، ولكن المسلمين انتصروا على عدوهم فى معارك كثيرة كان من أشهرها " غزوة بدر الكبرى " والتى وقعت فى السنة الثانية للهجرة ، والتى توافق سنة "٦٢٤" للميلاد وغزوة " الخندق " وكانت سنة " خمس " للهجرة " ، وغزاة " حنين " وكانت سنة " ثمان " للهجرة " وقد فتح الله " مكة " على نبيه عليه الصلاة والسلام وعلى المسلمين ، وانتشر الإسلام وعمّ الجزيرة العربية كلها وفى سنة " ١١ ه" لحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى بعد جهاد ودعوة إلى الله وتوحيده دام ثلاثاً وعشرين سنة قضى ثلاث عشرة سنة فى مكة وعشر سنين فى المدينة هذه مدة بعثته ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ رسولاً وقائداً ، وحاكماً ، فلما توفى عليه الصلاة والسلام لم يكن للمسلمين خيار سوى اختيار خليفة لهم يدبر أمورهم ويرعى مصالحهم فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه خليفةً عليهم ، مضى أبو بكر رضي الله عنه " سنين " فى الخلافة قاد خلالها "حروب الردة " وبعث الجيوش للفتح ، ولإنقاذ العرب الذين كانوا يعيشون فى "العراق " ، و" الشام " يرزحون تحت نير " الفرس والروم " وبعد " أبى بكر " رضي الله عنه جاء الخليفة " عمر بن الخطاب " رضى الله عنه ومكث فى الخلافة " عشر سنين " فتح العرب فيها " العراق " ، و" الشام ، ومصر ، وفارس " وفى عهد " عمر " رضي الله عنه اتخذت الدولة الإسلامية شكلها الواضح ، وصارت دولة مرهوبة الجوانب ، وامتدت الفتوحات فى عهده واتسعت رُقعة الدولة الإسلامية حتى كانت حدودها من الصين شرقاً إلى أن أطل " الإسلام برأسه من فوق جبال " البرانس " فى فرنسه غرباً .

وبعد سيدنا "عمر بن الخطاب" ﷺ ، تولى الخلافة سيدنا "عثمان بن عفان " ﷺ وهو أمويّ ، فاتسعت الفتوحات فى زمنه فى "مصر وليبيا وفى البحار" ثم تولى الخلافة سيدنا " على بن أبى طالب " ﷺ فاستمر الاضطراب ، وتوقفت الفتوحات بعد نشوب الخلاف السياسى بين سيدنا " على بن أبى طالب " ، وبين سيدنا " معاوية بن أبى سفيان " وانقسم أنصار سيدنا " على بن أبى طالب " على أنفسهم فأصبحوا " شيعةً " وهم الذين ناصروا الإمام " على " ﷺ ووقفوا موقف العِدَاء من خصومه ، و" الخوارج " الذين كانوا يعدون النزاع بين " على ، ومعاوية " نزاعاً سياسياً ، ثم عادُوا " عليا ومعاوية " معاً وحاول الخوارج قتل " على ، ومعاوية وعمرو بن العاص " لأنهم جميعاً فى رأى الخوارج كانوا سبباً للخلاف بين المسلمين فلم تسنح الفرصة إلا بقتل " علىّ " سنة ٤٠ للهجرة - ٦٦١ للميلاد .

obeikandl.com

الناحية السياسية

إن الدارس لتاريخ الأمّة العربية قبيل الإسلام أى فى القرن السادس المسيحىّ يشاهد أطواراً عظيمة فى نواح كثيرة من حياتها ، فالناحية السياسية كانت مركزة لديهم فى نظام " القبيلة " التى يخضع أفرادها لزعيم واحد يصل إلى هذا المنصب عن طريق عشيرته الخاصة به . وذلك لكثرتهم فى العدد أو لشهرتهم ببعض الفضائل الكريمة ، ونحو ذلك من الميْزات التى تؤدى إلى اتفاق الجماعة على اختياره للرياسة ، والسيادة ، والزّعامة ، وبمضى الأيّام اكتسب الزعماء حقوقاً على الجماعات تشبه من بعض الوجوه ما يكون للملوك والحكام فى الأمم والشعوب المتمدنة ، فمن ذلك أنهم كانوا يجعلون للسيد رُبع الغنيمة فى الحرب ، ويخصونه بالصفايا – والصّفايا هى ما لا يمكن اقتسامه من فرس كريم ، أو سيف قاطع ، أو حِلْيّة نفيسة ، وله كذلك حكمه فى اختيار ما تقع عليه رغبته من الغنائم ، والنشيطة وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم ، والفضول ، وهو ما قلّ منها حين تقسم فى الطريق يقول شاعرهم :

لك المرباع منها والصّفايا وحكمك النشيطة والفضولُ

وقد أَلِف الرئيسى هذه الحياة وأحبها لتمكنه فيها من حريته الشخصية ولم يظهر على أهل البادية فى وقت من الأوقات ميلهم إلى الحضر ، واستبدالهم بها سكنى الأمصار ، فاعتزوا بها ، وآثروها على ما كان بها من شظف العيش ، وقساوة الحياة ، ولقد سئل بعضهم " ما كنتم تصفون بالبادية إذا انتقل كلّ شىء ظله ؟ فقال :" بَخٍ بَخٍ وهل العيش إلا ذاك يمشى أحدنا ميلاً فيَرفَضُ جبينه عرقاً كأنه الجان فيركز عَصاه ، وينصب عليها كساءه ، ثم يجلس تحته ، وتقبل عليه الرياح من هذا ، ومن هذا ، فكأنه فى إيوان كسرى".

تأسيس الإمارات العربية

أومأنا آنفاً إلى فقدان الوحدة السياسية ، فقد كان يوجد بعض الأنظمة السياسية بين سكان الحجاز فى مكة ، وفى الإمارات العربية التى تأسست إحداها فى العراق ، وكانت مواليه لبلاد الفرس ، والأخرى فى بلاد الشام ، وكانت تابعةً لبلاد الرّوم ، وكانت الثالثة فى الوسط وهى إمارة " كندة " فى بنى أسد وأحلافها وكان ولاء الكنديين لملوك " غسان " لما كان حادثاً بينهم وبين ملوك " المناذرة " من الخصومة والعداوة ويمكن للباحثين أن يجدوا ظلاً للنفوذ السياسى فى هذه الإمارات الثلاث ، فقد كانت لهم إقطاعات وحرس دائم ومَسَالِح للجند تشبه من كل الوجوه ما يقوم فى الممالك الناشئة فى العصور المتمدنة .

وقد زهت قريش فى أوائل القرن السابع بعد اندحار الحبشة ، ورجوع " أبرهة الأشرم " بجيشه عن غزو " الكعبة " وازداد من ذلك الوقت نفوذها فى الجزيرة العربية وقامت بتحقيق كثير من المبادىء العالية التى قلما توجد إلا فى الأمم التى تكون قد بلغت من الرُّقِىّ العقلىّ ، والمدنية الإنسانية شأواً بعيداً من ذلك " حلف الفضول " الذى تعاقد فيه أشراف " قريش " على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً ، ولا حلالاً ، ولا متنصفاً إلا أعانوه برفدهم ، وفضول أموالهم ، وقال رسول الله ﷺ " شهدت فى دار ابن جدعان حلفاً لو دُعيتُ إليه لأجبت " ومن ذلك أيضاً " دار الندوة " التى أُقيمت تِجاه " الكعبة " ، وهى " دار قصى بن كلاب " وكانت قريش لتَبرأ لها بأمر " قصى " تجتمع فيها للمشورة فى الجاهلية ، ولإبرام الأمور وبذلك سميت " دار الندوة " وذلك لاجتماع الندى فيها واجتماع القرشيين

فيها لاغتيال النبى ﷺ ليلة هجرته ، وهو أمر معروف ومشهور سجلته كتب السير والتواريخ .

ومن ذلك أيضاً " الحكومة ، والرفادة ، والسقاية والحجابة ، والسَّدانة والإفاضة " وكلها مناقب استأثرت بها جماهير " قريش " وامتد لها بذلك نفوذ على العرب جميعاً تظاهرت على الريادة أسباب قوية منها :

" جوارهم للبيت ، واشتهارهم بالتجارة " وما كان لهم من التجارة والبسطة "واكتسابهم لكثير من محاسن القبائل الوافدة عليهم فى موسم الحج ، وفى الأسواق التى كانت مطبقة بمكة وكأنهم فى الحملة يتهيأون بهذه العوامل وبغيرها من وحدة اللسان ، والاشتراك فى البيئة ، والجنس ، وانتشار النفوذ من حياة الهمجية والفوضى إلى استقبال العصر الجديد من الإسلام الذى جمع منهم الشمل ، ولمّ شعثهم ، وصيرهم أُمةً واحدةً يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ولم يلبثوا أن ملأوا الحياة رخاءً ، وعَدْلاً ، وأشرقت آفاق الأرض بعوالهم وطلائعهم الذين سرعان ما خفقت ألوية غزاتهم على أكثر المعمور من أقطار الأرض هنالك صارت العرب شعباً واحداً ، وأمة سياسية خالدة، أخذت مكانها بين كبريات الأمم فى التاريخ .